سلسلة تفريغات شبكة بينونة

فضائل الحج

الشيخ

د. هشام بن خليل الطوسي

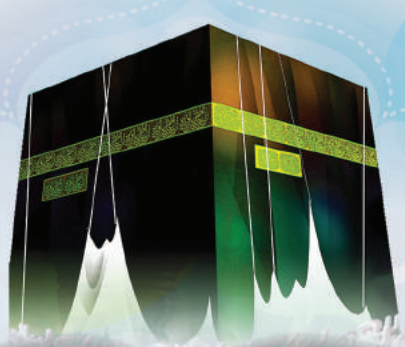

قام بها

فريق التفريغ في شبكة بينونة

@Baynoonanet

www.baynoona.net

بسم الله الرحمن الرحيم

يسر شبكة بينونة للعلوم الشرعية أن تقدم لكم
تفريغًا لمحاضرة بعنوان

"فضائل الحج"

ألقاها فضيلة الشيخ

د. هشام بن خليل الحوسني

-حفظه الله تعالى-

نسأل الله –سبحانه وتعالى- أن ينفع به الجميع

قام بها فريق التفريغ

بشبكة بينونة للعلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا ثم أما بعد:

فإن الله –سبحانه وتعالى– قد افترض علينا حجّ بيته الحرام مرة في كل عام كما صحّ ذلك عن نبينا –صلى الله عليه وسلم– مرةً في العمر وليس في كل عام كما صح ذلك عن نبينا –صلى الله عليه وسلم– حينما قال: « أيها الناسُ ! قد فرض اللهُ عليكم الحجَّ فحجُّوا فقال رجلٌ : أكل عامٍ ؟ يا رسولَ اللهِ ! فسكت . حتى قالها ثلاثًا . فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لو قلتُ : نعم . لوجبت . ولما استطعتم »[1].

فالنبي –صلى الله عليه وسلم– افترض علينا هذه الشعيرة العظيمة التي بيّنها الله –عز وجل– في كتابه ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾[آل عمران: ٩٧].

فهذه الشعيرة لها معاشر الأخوة والأحبة لها فضائل عظيمة ينبغي على المسلم أن يقف عندها ويتأمل في هذه الفضائل وهذه الأمور التي تُرغِّبُهُ في أداء شعيرة الحج والركن الذي قد عدّه النبي –صلى الله عليه وسلم– رُكْنًا من أركان الإسلام كما قال –صلى الله عليه وسلم– : « بنيَ الإسلامُ علَى خمسٍ شهادةِ أن لا إلَه إلَّا اللهُ وأنَّ محمدًا رسولُ اللهِ وإقامِ الصلاةِ وإيتاءِ الزَّكاةِ وصومِ رمضانَ وحجِّ البيتِ »[2].

---

[1] صحيح مسلم (١٣٣٧).

[2] صحيح الترمذي (٢٦٠٩).

فهذه الشعيرة وهذا الركن العظيم من أركان الإسلام وهذا المبنى العظيم من مباني الإسلام لابد للمسلم أن يعرف ما هي هذه الفضائل المتعلقة بهذه الشعيرة فيكون حديثنا

هذه الليلة بإذن الله -عز وجل- عن هذه الفضائل نسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يوفقنا وأن يزيدنا علمًا وفقها.

روى أبو هريرة -رضي الله عنه- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كما جاء في البخاري ومسلم أن رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم «سُئِلَ أيُّ العملِ أفضلُ ؟ فقال: إيمانٌ باللهِ ورسولِهِ . قيل: ثم ماذا ؟ قال: الجهادُ في سبيلِ اللهِ . قيل: ثم ماذا ؟ قال: حَجٌّ مبرورٌ»[1].

وصحّ عن نبينا -صلى الله عليه وسلم- أنّه قال: «الحَجُّ المبْرُورُ ليس لهُ جزَاءٌ إلَّا الجنةُ»[2]. قال -صلى الله عليه وسلم- كما جاء في حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: «مَن حجَّ هذا البيتَ، فلم يَرفُثْ، ولم يَفسُقْ، رجَع كيومَ ولدَتْه أمُّه»[3]. رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وهذا شرف عظيم وفضل كبير يناله المسلم بشرط ماذا؟ أن يكون حجُّهُ مبرورًا.

بكى عمرو بن العاص -رضي الله عنه- يومًا بكاءً طويلًا وهو في سياق الموت -رضي الله عنه- وأرضاه- ثم قال: «فلمَّا جعَلَ اللهُ الإسلامَ في قَلْبي، أتَيْتُ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فقلْتُ: ابْسُطْ يمينَك فَلَأُبَايِعْك، فبسَطَ يمينَه، قال: فقبَضْتُ يَدِي، قال: ما لك يا عمرُو؟ قال: قلْتُ: أردْتُ أنْ أشتَرِطَ، قال: تشتَرِطُ بماذا؟ قلتُ: أنْ يُغْفَرَ لي» وهذا يدل على عِظَمْ حرص الصحابة -رضوان الله عليهم-ومحاسبة أنفسهم عمّا قد حصل منهم وما

---

[1] صحيح البخاري (٢٦)

[2] صحيح الجامع (٣١٧٠)

[3] صحيح البخاري (١٨١٩)

قد مضى وكان «قال: أَمَا علِمْتَ أنَّ الإسلامَ يهدِمُ ما كان قبْلَه، وأنَّ الهجرةَ تهدِمُ ما كان قبْلَها، وأنَّ الحجَّ يهدِمُ ما كان قبْلَه»[1].

فأرشده النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى هذه الأمور ومنها أنّ الحج يهدم ما كان قبله بمعنى أنّ حجّ بيت الحرام ينْفي الذنوب ويغفر الزلات ويكفر الخطيئات التي قد مضت وسلفت في الأزمان الماضية.

روى الطبراني وغيره بسندٍ صحيح عن الحسين بن علي -رضي الله عنه- قال: «جاء رجلٌ إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فقال إنِّي جَبانٌ وإنِّي ضَعِيفٌ فقال : هَلُمَّ إلى جِهادٍ لا شَوْكَةَ فِيه ؛ الحَجُّ»[2].

وثبت عن أم المؤمنين -رضي الله عنها-أنها قالت عائشة -رضي الله عنها-قالت: سُئِل النبي -صلى الله عليه وسلم- عن أو قالت -رضي الله عنها- «هل على النساءِ من جهادٍ ؟ قال : عليهنَّ جهادٌ لا قتالَ فيه ؛ الحجُّ والعُمرةُ»[3].

هذه الأحاديث وهذه الأمور التي بيّنها النبي -صلى الله عليه وسلم- وأرشد إليها بقوله الحج المبرور ما معنى قول النبي -صلى الله عليه وسلم- الحج المبرور؟

يشير النبي -صلى الله عليه وسلم- في هذه الأحاديث إلى اشتراط أن يكون الحجُّ حجًا مبرورًا وما هو الحج المبرور إذا نقول الحج المبرور كما ذكر أهل العلم لابد أن يشتمل على أمرين اثنين:

الأول: إتيان أعمال البر.

والأمر الثاني: مجانبة كل ما يكون فيه إثم فبهذين الأمرين يكون الحجُّ حجًا مبرورًا فعل أعمال البر.

قال أهل العلم في البر: البر له معنيان اثنان.

---

[1] صحيح مسلم (١٢١)

[2] صحيح الترغيب (١٠٩٨).

[3] صحيح الترغيب (١٠٩٩).

المعنى الأول: هو الإحسان إلى الناس.

المعنى الأول من معاني البر هو الإحسان إلى الناس وقد صحّ عن نبينا -صلى الله عليه وسلم- كما جاء في صحيح مسلم قال -صلى الله عليه وسلم-: «البِرُّ حسن الخلق»[1]. البر حسن الخلق وجاء عنه -صلى الله عليه وسلم- في روايات أخرى لما سُئِل وما بره عن هذا الحج وما بره قال: «إطعام الطعام وإفشاء السلام»[2]. أو كمال قال -صلى الله عليه وسلم- فيرشدنا النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى المعنى الأول من معاني البر وهو الإحسان إلى الناس.

الإحسان إلى الناس في معاملتهم في سفرهم في مبيتهم في جلوسهم ومُكْثهم أيام منى وأيام الحج لا شك ولا ريب أيها الأخوة أنّ الحج فيه مشقة وفيه تعب وفيه نصب لكن من طلب أن يكون حجُّهُ حجًّا مبرورا لا يلتفت إلى ذلك لا يلتفت إلى مثل هذه الأمور.

قال ابن عمر -رضي الله عنه- البرُّ شيء هين طيب الكلام ولين ماذا المعاملة أو كما قال -رضي الله عنه- البرُّ شيء هين.

وكما جاء عن بعض السلف -رضوان الله عنهم- ما يُعْبَأُ بمن أمّ بيت الله الحرام ما يُعْبَأُ بسفره ورحلته هذه للحج إذا لم يكن له ورعٌ يبتعد به عن معاصي الله -عز وجل- وحسن خلق يصاحب به من معه وعن ورع يجتنب وعن حلم يكف به غضبه إذا حصل ما يَسْتدعي منه الغضب فيهدأ ولا يتطاول في ما قد يُزيغهُ به الشيطان ويخرجه عن هذا الإسم الذي قد بينه النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو البر.

فإذن من طبيعة الحج ومن طبيعة هذه المناسك أن يكون فيها شيءٌ من المشقة فينْبغي على المسلم أن يكون هادئ البال صبورًا حليمًا لا يسارع إلى الغضب حتى لا يُخْرِجَ حجّه عن

---

[1] صحيح مسلم (٢٥٥٣)

[2] رواه أحمد (١٤٤٨٢).

مثل هذه الأوصاف التي وصفها النبي -صلى الله عليه وسلم- وهي حجٌّ مبرور فمن أراد ومن نشد البر فليبتعد عن مثل هذه الأمور.

وقد جاء عن سلفنا الصالح -رضوان الله عليهم- أمورٌ كثيرة وأشياء عظيمة تدل على عظم وتقديرهم وحرصهم على أن يكون حجهم حجًا مبرورًا فقد جاء عن ابن المبارك الإمام المبارك -رحمه الله ورضي عنه- جاء عنه انّه كان إذا أراد الحج، جمع أهل بلده ومن أراد أن يُحجّ معه ويأخذ من كل واحد منهم نفقته فيضعها في صندوق ويغلقه ثم يذهب بهم إلى حجِّ بيت الله الحرام فينفق عليهم من أطيب النفقات ويطعمهم ويرعى شؤونهم ثم إذا رجعوا وعادوا إلى بلدهم أولمهم وجمعهم وعمل لهم الوليمة، ثم اخرج ما في الصندوق وأعاد إلى كل واحد منهم نفقته هكذا ما كان يطلب وينشد البرَّ في حجه والنبي -صلى الله عليه وسلم- قد بيّن ذلك أيّما بيان فالحج المبرور ليس له جزاءً إلا الجنة فهذا المعنى الأول من معاني البر وهو حسن الخلق وحسن التعامل مع الناس.

المعنى الثاني الذي ذكره أهل العلم من معاني البر هو ما جاء في قول الله -عز وجل-: ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ ﴾[البقرة: ١٧٧]. فهذا المعنى الثاني وهو الإتيان بالطاعات الإتيان بالطاعات كلها وهي ضد الإثم فإذن البر له معنيان اثنان يُحْمَلْ على معنى حسن الخلق، ويحمل على الإتيان بالطاعات ومجانبة الآثام.

كذلك مما يُشْترط ومما يَكْمُلُ به البر أن يبتعد المسلم عن كل ما يكون مخالفًا للبر لهذا المعنى العظيم وهو كما قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]. فإذن يبتعد المسلم عن هذه الأمور التي فيها الرّفث وهي كلُّ ما يتعلق بأمر الرجل مع المرأة من نكاح أو مقدماته أو ما شابه ذلك فيبتعد عن هذه الأمور فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج.

فإذن المسلم مطالبٌ بأنْ يأتي بهذه الأعمال التي تكون فيها هذه الحجّة التي يريد أن يُحجّها حجّة مبرورة بعيدة عن الآثام قريبة من الرحمن -سبحانه وتعالى- مخلِّصَةٌ له من الذنوب والآثام ومدخلةٌ له للجنان.

صح عن نبينا -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: « تابِعوا بينَ الحجِّ والعُمرةِ فإنَّهما ينفيانِ الفقرَ والذُّنوبَ كما ينفي الكيرُ خبَثَ الحديدِ والذَّهبِ والفِضَّةِ »[1]، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- يبيّن لنا هنا كذلك فضيلة عظيمة لهذه الشعيرة وهي شعيرة الحج وهي أنّها تنْفي الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد؛ فينْبغي على المسلم أن يتابع بين الحج والعمرة ويحرص على هذه الفضائل العظيمة التي تقربه من الله -سبحانه وتعالى- وتنفي عنه هذه الشرور والآفات.

مما ينبغي على المسلم كذلك أن يراعيه ويلتفت إليه في حجه أنْ يعلم أن الله -عز وجل- لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصًا لوجهه -عز وجل- مراقبًا فيه ربه -سبحانه وتعالى- لا رياء في حجة ولا سُمعه فليعلم المسلم وليضع هذا الأمر في باله ولا يخرج إلى الحج من باب التفاخر وأنّهُ قد ذهب لحج بيت الله بسعر كذا أو حملة كذا أو ما شابه ذلك مما قد يُخِلُّ بهذه النية التي هي شرطٌ لقبول الأعمال.

فثبت عن نبينا -صلى الله عليه وسلم- أنّهُ حج كما جاء في الصحيح فيما ثبت عنه -صلى الله عليه وسلم- أنّه حجّ كما قال أنس -رضي الله عنه-: قال: حجّ النبي -صلى الله عليه وسلم- على رحْلٍ رثْ على رحْلٍ رثٍّ وقطيفةٍ خرقة، يعنى: لا تساوي كما قال: لا تساوي أربعة دراهم أو لا تساوي شيئًا، هذا نبينا -صلى الله عليه وسلم- يحج على رحل رث وقطيفة خَرِقَة أي قديمة.

---

[1] صحيح ابن حبان (٣٦٩٣).

ثم يقول: «اللهم حجّةً لا رياء فيها ولا سمعة»[1] اللهم حجّةً لا رياء فيها ولا سمعة فينبغي على المسلم أن يقتدي به -صلى الله عليه وسلم- وألا يفاخر وألا يُكاثر بمثل هذه الأمور.

لاشكّ ولا ريب أن المسلم مأجور على نفقته ومأجور على ما ينفقه في مثل هذه الشعيرة لكن ينبغي أن يكون ذلك من غير إسراف ولا مخيلة فالله -سبحانه وتعالى- يأْجُرُكْ على نفقتك وما تنفقه في هذه الأيام الفاضلة وفي هذه المناسك العظيمة التي تقوم بها لكن ينبغي أن يكون ذلك من غير إسراف ولا مخيلة والنبي -صلى الله عليه وسلم- قد بيّن لأمنا أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- لما قال لها: « إنَّ لك من الأجرِ على قدرِ نصَبِك ونفقتِك »[2]، يعني: أنّ الأجر مرتبط بقدر هذا النصب والتعب والنفقة التي ينفقها المسلم في مثل هذه الشعيرة شعيرة الحج.

ولا ريب أن ذلك لا يكون بإسرافٍ ولا يكون بمخيلة؛ بل لابد أن يقصد فيها المسلم وجه الله -عز وجل- وأن يراقب فيها ربه -سبحانه وتعالى- ويخلص فيها النية؛ لاسيما أنّه قد قصد بيت الله -عز وجل- طامعًا في مرضاته خائفًا من عقابه -سبحانه وتعالى-.

من الأمور التي ينبغي للمسلم أن يراعيها كذلك هي الحج بمالٍ حلال ويجتنب المال الحرام

إذا حججت بمالٍ لست تملكه فما حججْت ولكن حجّت العيرُ

لا يقبل الله إلا كل طيِّبةٍ ما كُلُّ من حج بيت الله مبرور

ينبغي للمسلم أن يتأمّل في هذا المال وفي هذه النفقة التي سيخرج بها إلى حج بيت الله -عز وجل- وأن يراقب الله -سبحانه وتعالى- في هذا المال وأن يكون المالُ طيّبًا حلالًا حتى يبارك الله -سبحانه وتعالى- لهُ في هذه الحجة ويجعلها حجّةً مبرورة.

---

[1] صحيح الترغيب (١١٢٢).

[2] صحيح الترغيب (١١١٦).

من هذه الفضائل معاشر الأحبة أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: كما جاء في البيهقي وحسنه الشيخ الألباني -رحمة الله عليهم- قال: « ما تَرفعُ إبلُ الحاجِّ رِحلًا ، ولا تضعُ يدًا ؛ إلا كتب اللهُ له بها حسنةً ، أو محا عنه سيئةً ، أو رفعه بها درجةً »[1].

هذا في القديم وفي زماننا يُقال مثل ذلك فيما يسافر عليه المسلم من سيارة أو طائرة أو دابّةٍ أو ما شابه ذلك فكل ما خطى خطوه وسعى إلى حجّ بيت الله -عز وجل- ففي كل خطوة لك ترفع لك بها درجة أو تمحى عنك سيئة أو يكتب لك بها حسنة كما صح عن نبينا -صلى الله عليه وسلم- فينبغي للمسلم أن يحرص على هذه الأمور ويتذكر هذه الفضائل كما كان سلفنا الصالح -رضوان الله عليهم- يتأمّلون ويعتبرون وينظرون في هذه الأمور حتى يكون أدائهم لهذه الشعيرة وهذه الفضيلة أداءً عظيمًا يُرضى الله -سبحانه وتعالى-.

بعض الصالحين كان قد يَقِفوا ويرى الحجاج وقت خروجهم فيبكي ويقول: واضعفاه؛ لأنه يجد نفسه قد قعد والناس قد خرجوا لأداء هذه الشعيرة ونيْل هذه الفضائل العظيمة.

فيبكي ويقول: واضعفاه وينشد على أثر ذلك، فيقول:

فقلت دعوني واتّباعي ركابكم أكن طوع أيديكم كما يفعل العبد

أي: خذوني معكم حتى لو اعتبرتوني كالعبد أعمل لكم وأخدمكم حتى أنال هذه الفضائل العظيمة ثم تنفّس وقال: هذه حسرة من انقطع عن الوصول إلى البيت؛ فكيف تكون حسرة من انقطع عن الوصول إلى رب البيت؟ هكذا كانوا وهكذا عاشوا وهكذا عمّروا قلوبهم بتقوى الله -سبحانه وتعالى- وتأمّل هذه الفضائل العظيمة يُذكّرون أنفسهم بين الفيْنة والأخرى يرى الحجاج قد خرجوا فيمتلئ قلبه شوقًا ورغْبةً لما عند الله -سبحانه وتعالى- لو أنّه قد خرج معهم لينال هذا الأجر العظيم ويفوز هذا الفوز العظيم نسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يكتب لنا الأجر والثواب وأن يجعلنا ممن يحجّون إلى بيته حجًا مبرورا.

---

[1] صحيح الترغيب (١١٠٦).

النبي –صلى الله عليه وسلم– قد بيّن في أحاديثه فضائل عظيمة وكثيرة من ضمن هذه الفضائل التي ذكرها –صلى الله عليه وسلم– عن هذه الشعيرة شعيرة الحج ما جاء في البزّار وغيره عن جابر –رضي الله عنه– أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: « الحجَّاجُ والعمَّارُ وفْدُ اللهِ ؛ دعاهُم فأجابوهُ ، وسألوهُ فأعطاهُم »[1]. فالله –عز وجل– كريم وربٌّ رؤوفٌ رحيم –سبحانه وتعالى– يُعْطي عبده سُؤْله ويغدق عليه بالعطايا، لاسيما في هذه الأيام الفاضلة وهذه الأيام العظيمة ولاسيّما في يوم عرفة كما سيأتي معنا فَهُمْ وفد الله –عز وجل– وهم ضيوف بيت الله –عز وجل– وحقٌّ بالمزور أن يكرم الزوار والله –سبحانه وتعالى– ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فإكرامه –سبحانه وتعالى– ليس كأيِّ إكرام، وجوده –سبحانه وتعالى– ليس كأيِّ جود، وإنعامه و تفضّله ليس كأيِّ إنعامٍ وكأيِّ تفضّل –سبحانه وتعالى–، ونسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يغدق علينا من فضائله وإنْعامه.

جاء في حديث عظيم حديث رواه الطبراني وغيره من حديث بن عمر –رضي الله عنه– ما يلخّصُ لنا شيئًا من هذه الفضائل وشيْئًا من هذه المكارم والآداب والفضائل التي بيّنها النبي –صلى الله عليه وسلم– في عددٍ من مناسك هذا الحج.

(قال ابن عمر –رضي الله عنه– كنت جالس مع النبي –صلى الله عليه وسلم– في مسجد منى فأتاه رجلٌ من الأنصار ورجلٌ من ثقيف فسلّما ثم قالا: يا رسول الله جِئْنا نسألك فقال: « إنْ شِئْتُمَا أَخبَرْتُكُمَا بما جِئْتُمَا تَسألاني عنه فَعَلْتُ، وإنْ شِئْتُمَا أنْ أُمْسِكَ وتَسألاني فَعَلْتُ. فقالَا: أَخبِرْنا يا رسولَ اللهِ. فقال الثَّقَفيُّ للأنصاريِّ: سَلْ. فقال: جِئْتَني تَسأَلُني عن مَخْرَجِكَ مِن بَيْتِكَ تَؤُمُّ البيتَ الحرامَ، وما لكَ فيه، وعن رَكْعَتَيْكَ بعدَ الطَّوافِ وما لكَ فيهِما، وعن طَوافِكَ بيْنَ الصَّفا والمروةِ وما لكَ فيه، وعن وُقوفِكَ عَشِيَّةَ عَرَفةَ وما لكَ فيه، وعن رَمْيِكَ الجِمارَ وما لكَ فيه، وعن نَحْرِكَ وما لكَ فيه، مع الإفاضةِ؟ فقال: والَّذي بَعثَكَ بالحقِّ، لَعَنْ هذا جِئْتُ أَسأَلُكَ». وهذا من علامات نبوته –صلى الله عليه وسلم–

---

[1] صحيح الترغيب (١١٠٧).

كما أخبرهما هنا. «قال: فإنَّكَ إذا خَرَجْتَ مِن بَيْتِكَ تَؤُمُّ البيتَ الحَرامَ» يعني: تقصد حج بيت الله –عز وجل– «لا تَضَعُ ناقَتُكَ خُفًّا، ولا تَرْفَعُهُ؛ إلَّا كَتَبَ اللهُ لكَ به حسنةً، ومَحَا عنكَ خطيئةً. وأمَّا رَكْعَتاكَ بعدَ الطَّوافِ؛ كعِتْقِ رَقَبةٍ مِن بني إسماعيلَ. وأمَّا طوافُكَ بالصَّفا والمروةِ؛ كعِتْقِ سبعين رَقَبةً. وأمَّا وُقوفُكَ عَشِيَّةَ عَرَفةَ؛ فإنَّ اللهَ يَهْبِطُ إلى سماءِ الدُّنيا فيُباهي بكُمُ الملائكةَ، يَقولُ: عِبادي جاؤُوني شُعْثًا مِن كلِّ فَجٍّ عميقٍ يَرْجُون رحْمتي، فلو كانتْ ذُنُوبُكُمْ كعددِ الرَّملِ، أو كقَطْرِ المطرِ، أو كزَبَدِ البحرِ؛ لغَفَرْتُها، أَفِيضوا عِبادي مغفورًا لكُم، ولِمَن شَفَعْتُم لهُ». هنيئًا لمن حجّ بيت الله –عز وجل– ونال مثل هذه الفضائل واسْتحضر في ذاك الوقت مثل هذه الأمور التي يباهي الله –عز وجل– بها ملائكته، يباهي ملائكته بهؤلاء الذين جاءوه شُعْثاً غُبْرًا. «وأمَّا رَمْيُكَ الجِمارَ؛ فلكَ بكلِّ حصاةٍ رَمَيْتَها تكفيرُ كبيرةٍ مِنَ الموبقاتِ. وأمَّا نَحْرُكَ؛ فمَدْخُورٌ لكَ عندَ ربِّكَ». أي: أمر مُدَّخَرٌ لك عند ربك؛ فلا تعلم نفس ما أُخفي لهم من قرة أعين. «وأمَّا حِلاقُكَ رأسَكَ؛ فلكَ بكلِّ شَعرةٍ حَلَقْتَها حسنةٌ، وتُمْحَى عنكَ بها خطيئةٌ. وأمَّا طَوافُكَ بالبيتِ بعدَ ذلكَ؛ فإنَّكَ تَطُوفُ ولا ذَنْبَ لكَ، يأتي مَلَكٌ حتَّى يَضَعَ يَدَيْهِ بيْنَ كَتِفَيْكَ، فيَقولُ: اعمَلْ فيما تَستَقبِلُ؛ فقد غُفِرَ لكَ ما مَضَى»[1].

هنيئًا لمن نال مثل هذه الفضائل ولمن استحضر مثل هذه الأمور العظيمة التي أرشد إليها النبي –صلى الله عليه وسلم– فهذا الحديث حديث عظيم ينبغي أن يقف معه المسلم وقفات ويستفيد منه فوائد عظيمة.

من ضمن هذه الفوائد التي يستفيدها الإيمان بأسماء الله وبصفاته وبأفعاله –سبحانه وتعالى– فالله –سبحانه وتعالى– كما جاء معنا في هذا الحديث أنّه يَهْبط إلى سماء الدنيا عشيّة عرفة فيقول هؤلاء عبادي جاءوني شُعثاً غبرًا أشهدكم أنّي قد غفرت لهم.

---

[1] صحيح الترغيب (١١١٢).

المؤمن الموحد يؤمن بمثل هذه الأسماء وبمثل هذه الصفات وهذه الأفعال التي تُثْبت لله -سبحانه وتعالى- وقد أثبتها نبيه -صلى الله عليه وسلم- ولا يقول كما يقول بعضهم أنّ النزول يستلزم منه خلوُّ المكان من صاحبه فكيف ينزل الله نقول أثْبتها الصادق المصدوق -صلى الله عليه وسلم- ونحن نؤمن بأوصاف الله -عز وجل- ونؤمن بأسمائه -سبحانه وتعالى- إذْ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١]. فكما نثبت لله -عز وجل- سمعًا يليق بجلاله وبصرًا يليق بجلاله ويداً تليق بجلاله -سبحانه وتعالى- وعلْمًا يليق بجلاله وقدره تليق بجلاله؛ فكذلك نثبت له هذه الصفات من غير كيْفٍ ومن غير بَحْثٍ عن كيفتها، الكيْفيّة تُفوّضْ إلى علم الله -سبحانه وتعالى- أمّا الإيمان بمعناها وما دلّت عليه من أمور فيجب على المسلم أن يُقِرَّ ويُصَدِّقْ بهذه التي دلّت عليها أحاديث النبي -صلى الله عليه وسلم- وكتاب ربنا -سبحانه وتعالى- فنؤْمِنُ بما دلت عليه بما دلّ عليه القرآن من أسماء الله -عز وجل- وصفاته وأفعاله -سبحانه وتعالى- ومن ضمنها ما جاء في هذا الحديث العظيم أنّ الله -سبحانه وتعالى- يهبط ينزل عشيّة عرفة إلى السماء الدنيا نزولًا يليق بجلاله -سبحانه وتعالى-، ولا يُقال كما يقول من خالف السنّة نقول إنّك ما قلت هذا القول إلّا لما شبهت الله -عز وجل- بخلقه أمّا لو أنّك آمنت بهذه الصفة على الوجه الذي يليق بجلاله -سبحانه وتعالى- وأنّه لا يشابِهُ خلْقَهُ في شيء من صفاته فكما نفيْنا عنهُ مشابهة صفات الله -عز وجل- في سمعه وفي بصره نفيْنا هذه المشابهة، وهذه المماثلة على المخلوقات فكذلك هنا في نزوله وهبوطه -سبحانه وتعالي- إلى سماء الدنيا ننْفي مثل هذه المشابهة بيْنه وبيْن خلْقه نقول نزولًا يليق بجلاله ولا نخوض في مثل هذه الكيفية إذْ الكيْفيّة هذه مردُّها إلى الله -سبحانه وتعالى-.

هذه الأحاديث العظيمة معاشر الأحبة تبيّن لنا فضل هذه الشعيرة شعيرة الحج ومن ضمن ما دلّت عليه هذه الأحاديث ما جاء في حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: « من خرج حاجًّا فمات ؛ كُتِبَ له أجرُ الحاجِّ إلى يومِ القيامةِ

، ومن خرج معتمرًا فمات ؛ كتب له أجرُ المعتمرِ إلى يومِ القيامةِ ، ومن خرج غازيًا فمات ؛ كُتِبَ له أجرُ الغازي إلى يومِ القيامةِ »[1].

والنبي –صلى الله عليه وسلم– قد حجّ معهُ رجلٌ وفي أثناء إحْرامه وقصتْهُ ناقته فَوَقَع فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ –رضي الله عنه– فمات وقع من على ناقته فقال –صلى الله عليه وسلم–: «اغْسِلُوهُ بماءٍ وسدْرٍ ، وكَفِّنُوهُ في ثَوْبَيهِ ، ولا تُمِسُّوهُ بِطِيبٍ» يعني لا تُطيِّبوه ولا تُعطِّروه «ولا تُخَمِّرُوا رأْسَهُ ، فإنَّهُ يُبْعَثُ يومَ القيامةِ مُلَبِّيًا»[2]

وأي فضل أعظم من هذا الفضل تُبْعَثُ والناس يُبْعَثون على ما كانوا يفعلون، يُبْعَثُ هذا وهو يُلَبِّي الله –سبحانه وتعالى– وهو يستجيبُ لنداء ربه فهنيئًا له ثم هنيئًا له وهكذا ينبغي على المسلم أن يحرص أن تكون خاتمته خاتمة حسنة كما كان هؤلاء الصحب رضوان الله عليهم.

جاء عن نبينا –صلى الله عليه وسلم– فضائل عظيمة و كثيرة لا يَسَعُنا في هذه الدقائق المعدودة أنْ نتكلّم عنها كلها لكن لا بأس من الإشارة إلى شيءٍ مما جاء عن نبينا –صلى الله عليه وسلم– من ذلك ما جاء عنه –صلى الله عليه وسلم– في فضل هذا الإحرام تأمّل أخي الحبيب تأمّل أيها المسلم أنت لما تلبس هذا الإحرام وتغيب عليك شمس ذاك اليوم ما لك من الفضل وما لك من الأجر اسمع إلى قول نبيك –صلى الله عليه وسلم– كما رواه الترمذي بسند حسن قال: « وما من مؤمنٍ يظلُّ يومَه محرمًا إلا غابت الشمسُ بذنوبِه »[3]. فضل عظيم قد يتضايق المسلم من ملابس الإحرام ومن هذا الذي يكون عليه من رداءٍ وإزارٍ فقد يسارع إلى التخلّص من هذا ولا يخطر بباله ولا يتذكّر عظيم هذا الفضل والأجر الذي قد غابت عليك شمس هذا اليوم فذهبت بذنوبك وهذا فضل عظيم ينبغي علينا أن نتأمله ونحن قد لبسنا ملابس الإحرام.

---

[1] صحيح الترغيب (١١١٤).

[2] صحيح البخاري (١٨٥١).

[3] صحيح الترغيب (١١٣٣).

من هذه الفضائل والمكارم التي بيّنها النبي –صلى الله عليه وسلم– ما جاء في فضل التلْبية وأنّه –صلى الله عليه وسلم– قال: « ما من مُلَبٍّ يُلبِّي إلا لَبَّى ما عن يمينه وشمالِه من حجَرٍ أو شجرٍ أو مدَرٍ ، حتى تنقطع الأرضُ من ههنا وههنا ؛ عن يمينِه وشمالِه »[1].

فما من تلْبيةٍ تُلبّي بها وما من استجابةٍ لله –عز وجل– في قولك لبيك اللهم لبيك أي: إجابةً لك يا ربي بعد إجابة مسارعةً لك بعد مسارعة في طاعتك وابتغاء مرضاتك وحج بيتك الحرام « ما من مُلَبٍّ يُلبِّي إلا لَبَّى ما عن يمينه وشمالِه من حجَرٍ أو شجرٍ أو مدَرٍ » يقول –صلى الله عليه وسلم–: « حتى تنقطع الأرضُ من ههنا وههنا ؛ عن يمينِه وشمالِه ».

وسُئِل صلى الله عليه وسلم عن أفضل الحج فقال: « العَجُّ والثَجْ» كما جاء في رواية ابن ماجه بسندٍ حسن قال: « أفضلُ الحجِّ العَجُّ والثَّجُّ »[2]. و**العج** هو رفع الصوت بالتلبية كما أخبر النبي –صلى الله عليه وسلم– إذْ قال: « أتاني جبريلُ ، فأمرني أن آمُرَ أصحابي و مَن معيَ أن يَرفَعوا أصواتَهم بالتَّلبيَةِ »[3]. وهكذا المسلم عليه أن يرفع صوته في التلبية، المرأة ترفع صوتها ما لم يكن هناك رجال وما لم يكن هناك فتنة أمّا إن وجد رجال فلتخفض من صوتها ولا ترفعه لوجود الفتنة بذلك؛ فينبغي على المسلم أن يرفع صوته بالتلبية وقال: أفضل الحج العج والثج.

الثج: هو النحر؛ وقد جاء ما يدلُّ على هذا الفضل كما مرّ معنا في حديث ابن عمر وأن النحر له ذاك الفضل العظيم.

النبي –صلى الله عليه وسلم– بين هذه الفضائل وبيّن كذلك من ضمن ما بيّن أن الحجر الأسود يأتي يوم القيامة وله لسانٌ وشفتان يشهد لمن استلمه بالحق يعنى من قصد

---

[1] صحيح الترغيب (١١٣٤).

[2] السلسلة الصحيحة (١٥٠٠).

[3] صحيح الجامع (٦٢).

بيت الله –سبحانه وتعالى– مُخْلِصًا لله –عز وجل– مُتَّبِعًا لسنة النبي –صلى الله عليه وسلم– فهو شاهد لك بإذن الله –عز وجل– يوم القيامة.

من ضمن هذه المسائل وهذه الفضائل ينْبغي لنا أن نقف وقفات عند بعض الأحاديث التي جاءت في هذه الشعيرة العظيمة.

النبي –صلى الله عليه سلم– قد رغّب في المسح على الحجر الأسود والركن اليماني وبيّن أنهما يَحُطّان الخطايا حطّا. روى الإمام أحمد «عن عبد الله بن عبيدِ بن عُمَيْرٍ أن أباه سأل ابن عمرَ : ما لِيْ أراكَ لا تستلمُ إلا هذينِ الركنينِ لا تستلمُ غيرهما –يعني الحجرَ الأسودَ ، والركنَ اليمانيَّ –؟ قال : إنْ أَفعلْ ، فإنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يقول : إنَّ استلامهُما يحطَّانِ الخطايا . وسمعتُه يقول : من طافَ أُسبوعا يُحصيهِ وصلَّى ركعتينِ ، فلهُ عدلُ رقبةٍ أو نسمةٍ»[1].

نقف معشر الإخوة عند هذا الحديث العظيم وهذا الخبر الجميل الذي ذكره عبد الله ابن عمر –رضي الله عنه– قال –رضي الله عنه–: سمعت الرسول –صلى الله عليه وسلم– يقول: « من طافَ أُسبوعا يُحصيهِ» يعني من طاف بالبيت سبْعًا عدّها عدًّا أحْصاها إحصاءً من غير زيادةً أو نقص « وصلَّى ركعتينِ ، فلهُ عدلُ رقبةٍ أو نسمةٍ».

يرشدنا ابن عمر –رضي الله عنه– في مثل هذا الحديث أنّ العبادات مبْناها على التوقيف تريد هذا الأجر؟ تريد هذا الفضل؟ تريد أن يكون طوافك السّبْع كعدل رقبة؟ فافعل كما فعل النبي –صلى الله عليه وسلم– وهو أنّه قد طاف هذا الطواف واستلم هذا الركن وهذا الركن ولم يمسح جميع أركان البيت وكذلك طاف سبعًا ولم يزد على ذلك.

ففي قوله –رضي الله عنه–: من طاف أسبوعًا يحصيه يعني من طاف سبْعًا يُحْصيها يرشدنا إلى أنّ العبادات مبناها على التوقيف، وأنّ الزيادة لا تُشْرع في دين الله –عز وجل– وهذا كإخْبار النبي –صلى الله عليه وسلم– للبراء بن عازب حينما علّمه أذكار ما قبل النوم؛

---

[1] شرح السنة (٤/٧٧).

حينما قال: تقول إذا أخذت مضجعك تقول: «اللَّهمَّ أسلَمتُ نَفسي إليْكَ ووجَّهتُ وجْهي إليْكَ وفوَّضتُ أمري إليْكَ رغبةً ورَهبةً إليْكَ وألجأتُ ظَهري إليْكَ لا ملجأَ ولا مَنجَى منْكَ إلَّا إليْكَ آمنتُ بِكتابِكَ الَّذي أنزلتَ ونبيِّكَ الَّذي أرسلتَ» طلب منه النبي -صلى الله عليه وسلم- أنْ يعيدها «قالَ البراءُ: فقلتُ: وبرسولِكَ الَّذي أرسلتَ قالَ: فطعنَ بيدِهِ في صَدري ثمَّ قالَ: ونبيِّكَ الَّذي أرسلتَ »[1].

في مثل هذه الأحاديث معاشر الأخوة نقول هذا دين الله -عز وجل- وهذا مَسْلَكْ صحابته -رضوان الله عليهم- الذين قد أُمِرْنا باتّباع ما كانوا عليه وما ساروا عليه؛ فلا يأتي البعض ويقول: أنتم تأتون بأمر من عندكم فنقول: لا، اسمع إلى قول ابن عمر -رضي الله عنه- وهو يقول سمعته من النبي -صلى الله عليه وسلم-: «من طاف أسبوعًا يحصيه» يعني: أنه يطوف هذا الطواف من غير زيادة ثم كذلك قال لذاك الرجل لما قال: له مالي لا أراك تستلم إلّا هذين الرُّكْنيْن؟ لماذا لا تمسح بجميع أركان البيت؟ قال له إنْ افعل فقد سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إنْ افعل هذا يعني امسح هذين الرُّكْنيْن الركن اليماني والحجر الأسود إنْ افعل فقد سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: « استلامهما يحط الخطايا».

فالنبي -صلى الله عليه وسلم- أرشد إلى استلام هذيْن الرُّكْنيْن، وهكذا ينبغي على المسلم أن يكون مُتّبعًا ومُنْقادًا لأمر الله -عز وجل- وما أخبر به النبي -صلى الله عليه وسلم- كذلك من هذه الأمور التي يَجْدر الإشارة إليها ما جاء في صحيح ابن خزيمة من حديث ابن عباس -رضي الله عنه- يرفعه إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «لما أَتَى إبراهيمُ خَلِيلُ اللهِ المناسِكَ عرضَ لهُ الشَّيْطَانُ عندَ جَمْرَةِ العقبةَ ، فَرَماهُ بِسبعِ حصياتٍ حتى ساخَ في الأرضِ» يعني: غاص فيها «ثُمَّ عرضَ لهُ عندَ الجمرةِ الثانيةِ ، فَرَماهُ بِسبعِ حصياتٍ حتى ساخَ في الأرضِ ، ثُمَّ عرضَ لهُ عِنْدِ الجمرةِ الثالثةِ ، فَرَماهُ بِسبعِ حصياتٍ حتى ساخَ في

[1] سنن الترمذي (٣٣٩٤).

الأرضِ. قال ابْنُ عباسٍ : » مُعلِّقًا عن هذا «الشيطانَ تَرْجُمُونِ ، ومِلَّةَ أَبيكُمْ إبراهيمَ تَتَّبِعُونَ»[1]. وهذا الحديث قد صححه الشيخ الألباني -رحمة الله عليه- في صحيح الترغيب.

فإذًا يُبَيّن لنا ابن عباس -رضي الله عنه- أنّنا بأفعالنا هذه وبهذه الأمور التي نفعلها نتّبع سُنّة المرسلين ملة أبيكم إبراهيم تتبعون، أي: في مثل هذه المناسك وفي مثل هذه المشاعر وفي مثل هذه العبادات ينبغي للمسلم أن يكون فيها مُنْقادًا لأمر الله ورسوله مُتّبِعًا لسنة النبي -صلى الله عليه وسلم- وما قد فعله.

ثم بعد ذكر هذه الفضائل ومثل هذه المكارم ينبغي للمسلم أن يحرص أشدّ الحرص على حجّ بيت الله والمتابعة بين الحج والعمرة كُلّما تيسّر له وكلّما استطاع ففضل الله عظيم وخيره كثير وينبغي للمسلم أن يتأمّل في مثل هذه الفضائل ولا يتكاسل عنها؛ بلْ يحرص أشدّ الحرص على نَيْل هذه الفضائل والحصول على هذه المكارم وهذا الثواب وهذا الأجر الجزيل.

جاء في صحيح ابن حبان من حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: « إنَّ اللهَ تعالى يقولُ : إنَّ عبدًا أصححتُ لهُ جسمَهُ ، ووسَّعتُ عليهِ في مَعيشتِهِ ، تمضي عليهِ خمسةُ أعوامٍ لا يَفِدُ إليَّ لمحرومٌ »[2]. وهذا قد حسّنه أهل العلم هذا الخبر كما سمعتم أنّهُ من وسّع الله -عز وجل- عليه في رزقه وأصحّ له بدنه فينبغي عليه ألّا يبتعد عن حج بيت الله أو العمرة أو الزيارة أكثر من خمسة أعوامٍ كما أخبر بها النبي -صلى الله عليه وسلم- ومن فعل ذلك فهو محروم والمسلم يجْتنب كُلَّ ما كان فيه بُعْدًا عن الله -سبحانه وتعالى- ويفعل ما يقربه من ربه -سبحانه وتعالى- وما يكون فيه مرضاته وما يكون فيه اتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

ونكتفي بهذا القَدَرْ ونسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يَمُنّ علينا بحجٍّ بيته الحرام وأنْ يُوَفِّقَنا لحجٍّ مبرور وأن يرزقنا فيه اتباع سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- والحرص على ما

---

[1] صحيح الترغيب (١١٥٦).

[2] صحيح الجامع (١٩٠٩).

يرضيه -سبحانه وتعالى- إنّهً جواد كريم وهذا وبالله التوفيق وصلى اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

سلسلة تفريغات شبكة بينونة
فضائل الحج
الشيخ
د. هشام بن خليل الطرسني
@Baynoonanet
www.baynoona.net
قام بها
فريق التفريغ في شبكة بينونة